

يقولون إن في شباب العرب شيخوخة الهم والعزائم؛ ويقولون إن الله قد خف بهم حتى ثقلت عليهم حياة الجد، فأهملوا الممكناً فرجعت لهم كالمستحيلات. فإذا هزوا بالعدو في كلمة فكانوا هزموا في معركة. ويقولون إن الشاب منهم يكون رجلاً تماماً، ويقولون إن الأمر العظيم عند شباب العرب لا يحملوا أبداً تبعاً لـ أمر عظيم. ويزعمون أن هذا الشاب قد تمت الألفة بينه وبين أغلاطه، ويزعمون أن الزجاجة من الخمر تعمل في هذا الشرق المسكين عمل جندي أجنبى فاتح. أن يترك لهم الاستقلال التام في حرية الرذيلة. ويقولون إنه لا بد في الشرق من آتين للتخريب: قوة أوربا، يا شباب العرب! من غيركم يكتب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين؟ من غير الشباب يضع القوة بازاء هذا الضعف الذي وصفوه لتكون جواباً عليه؟ تكون المادة الأولى فيها: "قدّرنا لأننا أردنا؟" ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية، والحقائق التي بيننا وبين هذا الاستعمار، وفي الشباب نوع من الحياة تظهر فيه كلمة "الموت" كأنها أخت كلمة "النوم". وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها؛ يا شباب العرب: اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزاً، أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدينة الأوروبيّة، تنقذوا استقلالنا بعد ذلك، يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه: "لبيس المولى ولبيس العشير". لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه، وحققونا مقتولة بهذه الدنائر. أيها الشرقي! لا يقول لك الأجنبي إلا ما قال الشيطان: "وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوكم فاستجبتم لي". يا شباب العرب! لم يكن العسير يعسر على أسلافكم الأولين، أتریدون معرفة السر؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق، فصاروا عملاً من أعمال الخالق. غلبو على الدنيا لما غلبو في أنفسهم معنى الفقر، علامته المسجلة على كل منهم هذه الكلمة: "لا يذل". حين يكون الفقر قلة المال، ولكن حين يكون فقر العمل الطيب، وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة وألامها، تُفسر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف. ولكن حين يكون الخوف من نقص الحياة الآخرة وعذابها، تصبح الكلمة قانون الفضائل أجمع. هكذا اخترع الدين إنسانه الكبير النفس، الذي لا يُقال فيه: "انهزمت نفسه". يا شباب العرب! كانت حكمة العرب التي يعلمون عليها: إذ لا تكون الفكرة معها إلا فكرة مقاتلة. كانت دليلاً يكشف للعين أن جميعه حجر صلب. يا شباب العرب! إن كلمة "حقي" لا تحيا في السياسة إلا إذا وضع قاتلها حياته فيها. فالقوة القوة يا شباب! القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتختنث. التي تضع للأنصار في كلمة "نعم" معنى نعم، والقوة الصارمة النّفاذة التي تضع للأعداء في كلمة "لا" معنى لا. يا شباب العرب! اجعلوا رسالتكم: إما أن يحيا الشرق عزيزاً،